هل أخبركَ بما أحلم

حلمي صابر - المحرم ١٤٤٥هـ



سأخبرك بحلمي وبما أحلم

احتاجك رفيقا

معكَ أتكلم

أطوفُ بك الأرض والسماء لما تعلم ، ولما لا تعلم

سأريكَ الفوضى في عقلي

لكنها فوضى تنتظم

في حلمي :

رأيتُ نفسي محبوسا

نتفَ الصياد أجنحتي وكسَّرها

ثم جعلني على طيراني اتألم

وضعني صائدي في فناء البيت بقفصي لأتشمس

أرى الأشجار حولي وليس عليها أقفُ أو ألمس

اقتربتْ الطيور من قفصي

أخذتْ مني تهزأ وتسخر

يا محبوسا ، يا صغيرا ، جناحكَ مقصوصا

وأخذتْ ضحكاتهم تطغى وتفرح

أحدهم أدخل في قفصي من بين العمدان غصنا

قال هازئا: يا مقفوصا خذِ العودَ ، وعليه صَفّرْ واقفزْ وترنحْ

صامتٌ وإليهم انظر

وكلما ازدادوا سخرية ، صرتُ أَصَمتْ

كلما أغضبوني ، صرتُ أهدأ

خرج الصياد ورأوه ؛ فهربوا وطاروا

رأيتهم يطيرون وفي الهواء يلعبون

جاء قافصي ووضع في صندوق طعامي راتبا وحبا

وضعه وهو يضحك ، ظنَّ أنه يفرحني

دعني أرحل، لا أريد طغيانك ، أنت بحزني تفرح

كالجندي ، كلما قَتَلَ صار بقتله أفرح

أنا طائر ، الهواء حياتي

أنا كاتب أريد أن اكتب ، وأنا رسام أريد أن ارسم

أنا عالم أريد أن أتعلم ، وأنا باحث، أريد أن أبحث

أنا محاسب أريد أن أسائل وأحسب وأنقد

لا أعاتبك ، إنما أريدُ أن أتعلم

لكنه ، لكل هذا لا يفهم

صار صائدي يُغيِّر الطعام

رزا ، حبا دوارا ، سمسما ، آيس كريما ، ملوخية ، باذنجانًا

ولا زال لا يفهم !

يناديني صائدي : الطائر المدلل

أأنا مدلل ؟!

بعد أن قصَّ أجنحتي

جاء الدورُ على عقلي

بإعلامه أراد أن يعبث بفكري

جسمي يمتن، لكنَّ عقلي يخف

صرتُ أنثر الحبَّ للطيور ، راجيا من سخريتها أن تهدأ

وهي لا زالت تهزأ

ظنوا بأنني لهم أتقرب

اقرأ لأجنحتهم ولها أرسم وأتلون

ويوما

خدعهم الصياد

نثرَ على الأرض حبا ، لكنه حبا مخلوطا بمنوم

أكلوه وناموا

كان حبا مُخَدَّر

أفاقوا

ووجدا أنفسهم حولي

في قفص أكبر

وأجنحتهم ناقصة

صاروا مثلي أمتن

وبأجنحتهم أنحف

ولم أهزأ

كنت صامتا

لم أنتقم ولم أسخر

قلت لهم علينا أن نفكر كيف نهرب ،

عملنا بهدوء ؛ لئلا يصطاد الصياد خطتنا

كانوا يتكلمون كثيرا وهم طائرون،

وحينما جاء زمن الكلام، صمتوا

بعد عامٍ، بتعاوننا هربنا

خدعناه بالنساء وبالمال وبالسفر وبالترفيه

وبالحرية الموهومة

وبالديمقراطية

وباقتصاد الضرائب ، وبالسياحة الاقتصادية

وبكل شيء كان بمقدورنا ليصير في قبضتنا

وبالأمس، أنا على غصن الشجر حرا طائرا بعيدا ،

ألاحظُ وأتفرج متسائلا

أليس هذا ما يحدث ؟!

لن يخدعني الصائد بحبهِ من جديد ، تعلمت الدرسَ

لكنه جاء الصائد مقهورا بطائر جديد

والطائر بريشهِ متنتف

كنتُ آمنًا في قفصي

واليوم في الطيران الحر ، نسْرٌ حولي يطير

وأراهُ يبصرني

ربما أراد أن يجعلني طعاما ، ولهوا لطفله الصغير

يطير الرعبُ بقربي

هذه الحياة بعجائبها فوق أن استوعب

متحسرا، أقول ليتني بقيت في قفصي

وأنسى خوفي حينما يبعد النسر عني

معادلة صعبة

أن أكون طائرا مقفوصا

أو طائرا طليقا

اخترتُ الحلَّ الوسط

أن أكونَ في قفص كبير

متوهما الطيران وحريتي

قلْ : حرٌ طليق ، لكنني مقيد بحريتي

طلبتُ من الصائد أن يلون الشبك بلون الشجر

ويجعل الأنهار رسومات وكل شيء جميل حولي

الجبال لوحة

والصحاري بسيولها تجري ، وسقوف الكنيسة قداسةً ، لكنه دين بمزاجٍ فني !

لأخدعَ نفسي

وهذا الذي فعلته :

أن أعيشَ الوهمَ حقيقةً ، وأتوهم

حتى جاءت عصفورةٌ جديدة

ومعها نسيتُ نفسي ؛

لأنني تركتها نتوهم

أنها تخدعني

عفوا نسيتُ أن أخبرك

بحلمي وبما أحلم

هذه الحياة : وهمٌ كبير

القرآن في قلبي والسنة تحركني

فكيف تخدعني ؟!

_________ انتهى _____